سيمفونية العصا وعزف الركل على رؤوس النساء

سامي الأخرس

صدحت أصوات النساء في سماء صماء، لَم تعد تسمع بعدما أعميت قلوبها سوى صوت الانقسام، وحقيقة هو لَم يعد انقساماً إن شئنا أنّ نصفه بواقعيةِ حتمية قائمة على الأرض، فهناك توافق كلي بين المنقسمين على إدارة الانقسام وتوزيع الأدوار، تحت خيمة وحماية التراشق الإعلامي أو البربوجندا الإعلامية الّتي لَم تعد تنطلي على شعبنا الفلسطيني الذي يشاهد ويرصد ويترقب مسلسل الخداع، وتوزيع الأدوار، ولّكنه صامت لم يعد يمتلك مقومات الحراك على الأرض، بما أنّ العصا أصبحت سيمفونية تعزف على أوتار الركل ورؤوس النساء في وطنٍ كان يتفاخر ويتباهى بنسائه في السابق بأنهن أمهات ومعلمات الرجال، ومدارس الشهداء وفدائيات ركبن البحار، وخطفن الطائرات، وفجرن الأجساد كإستشهاديات، وعانقن قضبان القيد كأسيرات، ومثلن نموذجاً لم يذكر التاريخ مثيلاً له، أنّ تكون المرأة ربة بيت وزوجة وأم وفدائية في آن واحد، تعلم وتتعلم في مدرسة فلسطينية كانت لوقتِ قريب مفخرة وقدوة لكلّ المخلوقات.

قبل عدة أشهر تناقلت لنا وسائل الأنباء والإعلام والفضائيات مشهداً من ضفتنا الحبيبة لنسائنا يتساقطن على الأرض تحت وطأ العصا الّتي عزفت على أجسادهن موسيقى العار لأنهن طالبن بالحياة، وتظاهرن ضد غلاء الأسعار، وحقها في الحياة بلا جوع وفقر، وهو أبسط حقوق الإنسان، ولم نتجاوز الأمر ونمضي عنه، بل كان غصة في القلب لا يشفيها اعتذار أو لجنة تحقيق، فكيف لنا أن نغفر لأخ وابن وزوج يحمل عصاه ويسقطها على رأس من هي أشرف منه؟ وقبل أن تجف الأعين عن الدمع والقلب عن البكاء بدموع من نار، على أمهات وأخوات تمتهن كرامتهن في وطن محتل منَ أعداء على أيدي الأبناء، تناقلت لنا بالأمس الأنباء نفسها مشهداً آخر بأكثر عار ونحن نشاهد عصا الأخ والابن والزوج وبعض النساء مما يطلق عليهن (شرطيات) تتهاوى على أجساد أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا في ساحة الجندي المجهول بغزتنا المظلومة، لأنها قالت (لا للانقسام)، ولأنها أرادت لوطنها وحدة تعيش فيها هي وأبناؤها بسلام، ولقضيتها النصر والتمكين، والتمتين.

ما يزيد من جرعات ألمنا وحسرتنا أنّ العصا لم تتهاو على أبدان ساقطات أو فاجرات، بل تهاوت على أجساد حرائر تحدن خنوع الرجال، وصمت الرجال، وخرجن ليطالبن بوحدة الوطن، والمصير، فكان لهن ما كان.

المشهد مؤلم وقاس بأن العصا تتهاوى من يد امرأة على جسد امرأة، ومن يد تتزين بلحية دين على بدن أخت وأم، ألم يتذكروا: قول النبي محمد صلى اللّه عليه وسلم :(الدنيا خضرة حلوة ، وإن اللّه مستخلفكم فيها لينظر كيف تعملون ! اتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني "إسرائيل" كانت في النساء). وقوله :(إنما النساء شقائق الرجال، ما أكرمهن إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم)وقوله: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي). فكيف تتجرأ يد أنّ تتهاوى على بدن هؤلاء؟

الحقيقة الأخرى التي تثير العجب ونحن نشاهد مشاهد جلبت لنا الخزي أمام أنصارنا وغير أنصارنا، كيف يفكر قادة الأجهزة الشرطية والأمنية في أدائهم وإصدار أوامرهم بضرب نسائنا في مجتمع ينظر للمرأة نظرة عرض وشرف؟ وهل استباحت أعراضنا لهذه الدرجة؟ وذنبها الأوحد أنها خرجت للبحث عن مستقبل أبنائها في وطنٍ حر وموحد؟

فكيف ترى هذه القيادات الشرطية والأمنية هذا الأمر، وكيف تقيس هذه المعطيات؟ خاصة وأنّ هذا المشهد رأيته سابقًا في مدينة رفح عندما تمّ الاعتداء على فتيات في مقتبل العمر وسحبن من شعورهن والزج بهن ليلةِ كاملة في السجن لأنهن طالبن بحقهن في الكهرباء، هل هي أوامر أم حدث طارئ، وإنّ كان طارئ فماذا كرره؟ بعدما رأى العالم أجمع هذا المشهد لثاني مرة يمارس ضد نساء من حكومة تتبنى الأيديولوجيا الإسلامية، فهل هذا سلوك الإسلام مع القوارير؟

وهل هذا سلوك أجهزة شرطية تتبنى المقاومة نهجا؟ وماذا سنبرر للعالم اعتداءات الاحتلال على النساء والأطفال ونحن نمارس السلوك نفسة بحق أمهاتنا وأخواتنا وبناتنا؟

عشرات الأسئلة تجعلني أقف عاجزاً عن إيجاد تفسيرات لها، وإن كنت غير مقتنع بتفسيرات الناطق الإعلامي باسم الحكومة إيهاب الغصين بما أن الحدث تكرر أمامي مرتين في العام نفسه ، فلا أعلم ماذا يرعب حكومتا حماس ورام اللّه من صوت النساء؟ وماذا يرعب حماس من صوت يدعو لإنهاء الانقسام وإحقاق مصالحة وطنية تجمعنا بمحبة وسلام لنقاوم بقوة ونستعيد أرضنا المحتلة وكرامتنا المهدورة؟

إنهن نسائنا وحرائرنا فكيف لي ولغيري أن يغفر لمالك العصا وهو يرى أمه تهان، وتضرب على جسدها بلا اي ذنب أو جريمة، إلّا أنها تريد وطناً ومستقبلاً لأبنائها، والعيش بسلام. وكيف تغفر هذه المرأة لجلادها أمام شاشات الإعلامَ بلا حياء؟ أليس هذا انتهاكاً للأعراض؟

المرأة في ذمار.. ضحية في صراع الرجال

بشير الحزمي

رغم تجريم القبيلة لقتل النساء، إلا أن الحروب القبلية والثأر أدخلت المرأة في ذمار أتون الصراع الدامي لتكون ضحية ضمن عشرات الضحايا من الذكور، بقصص أكثر مأساوية، تتصف كثيراً بالخوف من تمادي ذلك التطوير غير المفضل للقبيلة.

أثناء نشوب الحروب القبلية بين طرفين، يكتفي الذكور من البالغين بالقتال والتخفي ، أما النساء تتكفل بكل شيء وهي من يحق لها الظهور بالإضافة إلى الأطفال في النهار، تعمل في المزارع ورعي الأغنام وجلب الماء وسقي الزرع، وهي من تتحمل مخاطر مد المقاتلين بالأكل وأحيانا الذخائر.

في ظل ذلك، قد تكون هي أيضا هدفاً، ففي مرات متعددة قتلت النساء في حروب قبلية، كان أحداها الحرب التي دارت رحاها في قرية البردون "مسقط رأس الشاعر الكبير عبد اللّه البردوني" خلف 16 قتيلاً و25 جريح، بين قائمة القتلى فتاتان، وليس ذلك فحسب، بل قتلت فتاتي في حرب قبلية أخرى بين قبيلتي (آل الراعي وآل شرهان) في قرية "دفينة" بمديرية عنس، استخدمت فيها جميع أنواع الأسلحة الخفيفة والمتوسطة باستثناء الأسلحة الثقيلة. لتصل الحصيلة إلى ستة قتلى وعشرات الإصابات، ولعلل السبب غريب، هو: على أحقية كل الطرفين بحجر اثري عثر علية في المنطقة.

الحروب القبلية، خلفت منذ أعوام مآسي كبيرة، فبالإضافة إلى المرأة ضحية، هي أيضا من تتحمل تركة الجهل التي خلقتها البيئة القبيلة، فالنساء يتكلفن برعاية أطفالها بعد مقتل أزوجهن، وعن هذه الجزئية فقط يمكن أن نعرف لماذا المجتمع يفرز فقراء يتصاعد عددهم كثيراً.

تقول حنان أحمد رباد، جمعية الريادة النسوية الخيرية، إن المناطق الريفية لم تجد لها طريقاً إلى الحداثة بعد، فهي تعاني من فقر وحرمان لذا نشاهد استفحال الصراعات القبلية التي تؤثر بشكل كبير على المرأة الريفية وتجعلها تتحمل أعباء إضافية تفوق طاقتها.

حنان، هي تدير جمعية أسستها في عام 2008م، في منطقتها بإحدى قرى مديرية " عنس"، و تصر على المضي قدما في طريق اختارتها لنفسها لتحقيق الأهداف التنموية التي تمر إليها، لكنها تجد نفسها في مواجهة واقع غير متفق مع الخدمات المدنية التي تقدمها، رغم ذلك تواصل طريقها دون أن تؤثر في طموحها مرات الفشل وبيئة غير مشجعة.